العلاقات الخارجية للدولة الزيانية.

أ.حاج عبد القادر يخلف*

دبّ الضّعف إلى كيان الدّولة الموحّديّة عقب موقعة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، ونتج عن ذلك ظهور ثلاث قوى متصارعة حول السّلطة، فكان كلّ أمير منها يدّعي أنّ له الحقّ في لقب الخليفة، وبالتّالي يحقّ له فرض سيطرته على جميع بلاد المغرب الإسلامي باعتباره الوريث الشّرعي للموحّدين، وبناء على ذلك تحوّل المغرب برمّته إلى مسرح لنزاع طويل أدّى إلى تجزئته وانقسامه بين إمارة بني مرين في المغرب الأقصى، وإمارة بني زيّان في الجزائر، وإمارة بني حفص في تونس، ودارت بين هذه الإمارات حروب طاحنة كانت أرض الزّيانيين – في الغالب – ساحة لها بحكم موقعها الوسط بين الدّولتين.

العلاقات الزّيانية– الحفصية: استقلّ يغمراسن بن زيّان بملك تلمسان وما يليها فأصبح أوّل سلطان لهذه الإمارة الناشئة خلال عام 633هـ/1236م، وكان ذلك على عهد الخليفة الرّشيد الموحّدي الذي سعى إلى توثيق الصّلة بيغمراسن، ويذكر أنّه " ضاعف له البر والخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة وعاوده الإتحاف بأنواع الألطاف والهدايا تيمّما لمسرّاته وميلا إليه من جانب أمثاله بنى مرين المجلبين على المغرب والدولة"[1]، ويشير هذا النّص بوضوح إلى أنّ سبب تقاربهما هو اتّفاقهما على عداوة بني حفص، الذين كانوا يشكلون خطرا على كلتا الدّولتين، فكان هذا التّحالف بين الخليفة بمرّاكش والأمير الجديد بالمغرب الأوسط سببا في تحيّز يغمراسن لبني عبد المؤمن، حيث أصبح يسالم وليّهم ويحارب عدوّهم.

واستكر الأمير أبو زكريا الحفصي اتصال الرشيد بيغمراسن فسعى إلى ضمّ حضرة مراكش لإمارته، ولكي يحقق ما يسمو إليه أدنى أمراء زناتة منه وألزمهم جواره، ولم يطل انتظاره

*– أستاذ مادة العلوم الإجتماعية في التعليم المتوسط– وأستاذ مستخلف بقسم التاريخ– جامعة وهران.

لتحقيق مسعاه، إذ وفد إليه عبد القوي أمير بني توجين وبعض وفد بني منديل بن عبد الرحمن أمراء مغراوة يستصرخونه على يغمراسن فسهّلوا له أمره وسوّلوا له الاستبداد على تلمسان. وقام أبو زكريا بتنفيذ مخططه فاستجاش أهل إفريقية لغزو تلمسان سنة 640هـ/1242م[2]، وانتهى الغزو بعقد الصّلح مع صاحبها والرّجوع عن المدينة مقابل دعوة يغمراسن لأبي زكرياء على منابر تلمسان[3]وعداوة بني عبد المؤمن.

وعندما بلغ السّعيد ما تعاقدا عليه، قرّر الاستيلاء على مملكتيهما بتعاون مع بني مرين" فانحاز يغمراسن إلى جبل تيمزجزجت"[4] جنوب وجدة، والتقى الجيشان هنالك سنة 646هـ/1247م، حيث انهزم الموحّدون" وقتل أميرهم أبو الحسن علي السّعيد على يدي يوسف بن خزرون"[5]، واستولى يغمراسن على جميع أسلابه وذخائره. وتوطّدت العلاقة بين الحفصيين والزّيانيين بالمصاهرة بين الأمير عثمان بن يغمراسن والأمير الحفصي صاحب بجاية الذي زوّجه ابنته على عهد أبيه يغمراسن، وكادت العلاقات تسوء بين الطّرفين عندما حاول الأمير عثمان غزو بجاية، لكنّها سرعان ما عادت إلى مجاريها الطّبيعية، واستمرّ بنوزيّان تابعين للحفصيين إلى أن غزا السّلطان المريني يوسف بن يعقوب تلمسان سنة 698هـ/1299م وفرض عليها حصارا طويلا أسّس فيه مدينة المنصورة كمعسكر لجيشه.

واستنجد حينئذ عثمان بن يغمراسن بأمير بجاية الحفصي أبا زكرياء الأوسط فأمدّه بجيش كبير التقى بالمرينيين في معركة جبل الزّاب، التي تعرف أيضا بمعركة مرسى الرّؤوس لكثرة ما تساقط فيها من الرؤوس[6]، وانتهت بهزيمته فاشتدّت شقّة الخلاف بين يوسف المريني وصاحب بجاية الحفصي، الذي كان على خلاف مع صاحب عرش تونس السّلطان أبو عصيدة بن الواثق الحفصي، فحاول هذا الأخير استمالة السّلطان المريني للإطاحة بعرش تلمسان، فأسقط الأمير أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بناء على ذلك الدّعوة الحفصيّة من منابر تلمسان وقطع الصّلة بعرش تونس الحفصي.

وفي عهد أبي تاشفين عبد الرّحمن الأوّل بن موسى (718هـ/1318م إلى 737هـ/1337م) غزا بنو عبد الواد تونس بجيوشهم مع ابن أبي عمران الحفصي" الذي نهض من طرابلس مطالبا بعرش تونس، وتغلّب في عدّة جولات على الخليفة الحفصي"[7]، فلقيهم ملكها أبو يحي فهزموه هزيمة نكراء، استولوا فيها على حرمه وذخائره وأفلت هو جريحا إلى قسنطينة، واتجهوا تلقاء

تونس التي تمكنوا من دخلوها سنة 730هـ/1329م[8]، وأقاموا فيها أربعين يوما وأسلموها إلى ابن أبي عمران وقفلوا. وتغيّرت علاقات تلمسان الزّيانية بالحفصيين في عهد السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني(760هـ/1359م إلى 791هـ/ 1389م)، فاختلفت علاقاته بهم عن علاقاته بالمرينيين، إذ كان الحفصيون يشتركون معه في عدائه للمرينيين.

وكانت حملات المرينيين المتكرّرة على المغرب الأوسط واحتلالهم لحضرته[9]ولعديد المناطق الواقعة تحت سلطان الزيانيين والحفصيين كقسنطينة وبلد العنّاب ممّا زاد هذا التقارب بين أبي حمّو الثاني والحفصيين لدفع خطر المرينيين الزاحف، وقد ظهر تعاطفهم معه في وقت مبكّر من قبل أن يستولي على السّلطة في تلمسان، إذ احتضنوه وحموه وأكرموا نزله على إثر مقتل عمّه أبي ثابت على يد أعوان المرينيين سنة 753هـ/1352م، وتجهّز أبو حمّو واستعدّ لنيل ملكه بمساندة الحفصيين المعنوية والمادّية، فقام أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحي السّلطان الحفصي ووزيره ابن تفراجين بإصلاح شأن أبي حمّو بما قدرا عليه من آلة السّلطان سنة 759هـ/1358م[10]، فسار إلى تلمسان مستغرقا حوالي ستة أشهر بسبب المواجهات مع أتباع المرينيين وأعوانهم في المغرب الأوسط، وبوصول نبأ وفاة السّلطان أبي عنان سنة 760هـ/1358م ارتفعت معنويات رجال أبي حمّو فحملوا على تلمسان، فنازلوها ثلاثة أيّام واقتحموها عنوة في اليوم الرّابع، وبايعه النّاس بالخلافة غرّة ربيع الأوّل سنة760هـ/1358م[11]، وأطلق عليها اسم الدّولة الزّيانية بعد أن كانت تسمّى إمارة بني عبد الواد.

غير أنّ الأمور لم تكن كذلك بين أبي حمّو والحفصيين جميعهم لانقسامهم فيما بينهم، ولكون بلاده كانت على تخوم بلادهم، كانت له أطماع على بعض بلادهم، فبينما نجد بعض الحفصيين نزل عند رغبته كأبي عبد الله محمّد بن يحي الحفصي صاحب بجاية[12] رفض بعضهم الخضوع له كأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن السلطان أبي بكر الحفصي[13]، وتقع المعارك بين هذه الفئآت المختلفة وتتراوح أجزاء من أرض المغرب الأوسط في التبعيّة السّياسية، تارة لأحد الحفصيين وتارة لأبي حمّو الزّياني[14] وتقع معركة كبيرة سنة 767هـ/1365م قرب بجاية فيخسرها أبو حمّو لأنّه لم يحسب حسابه امتناع بجاية، وأغفل الاستعداد منخدعا برأي مشيخة بني عبد الواد من دعاة الفتنة فخرج إلى عدوّه مخالفا لرأي أولي النّهى فانهزم شرّ هزيمة، ووجد نفسه وحيدا فنجا بنفسه، ونزل له وزيره عن ركوبه حتّى يستطيع تحصيل تلمسان[15]، وعاد الحفصيون للتدخّل

من جديد في الشؤون الدّاخلية للزّيانيين بعد ضعف الإمارة المرينية وتردّي الأوضاع الداخلية للإمارة الزّيانية نفسها نتيجة النّزاعات والحروب بين أمرائها.

ومن ذلك أنّ السّلطان الحفصي أبو فارس عزّوز أعدّ جيشا ضخما من خمسين ألف محارب اتّجه بهم إلى تلمسان، وعجز أبو مالك عبد الواحد الزّياني عن مواجهتهم لضخامة عددهم وعدّتهم، وتمكّن أبو فارس الأمير الحفصي من احتلال تلمسان عام 827هـ/1424م ، ونصّب عليها محمّد بن الحمراء ليكسب ودّه ويضمن ولاءه ويحمي مؤخّرته، وبعد مدّة أعلن أبو مالك خضوعه واستسلامه له فأعاده إلى عرشه بعد أن نكث محمّد بن الحمراء عهده بفساده وسوء سيرته[16]. وحدث أن حاول الأمير أبو ثابت محمّد الرّابع قطع الدّعوة للحفصيين على منابر تلمسان فأرغم على الخضوع والاستسلام لضعف الإمارة الزّيانية في هذه الأثناء[17]. وقد خضعت الجزائر الحفصيّة التي شملت عمالتي قسنطينة والجزائر إلى ما بعد مليانة في الشمال الغربي، وما بعد ورقلة جنوبا، إلاّ أنّها افتكته زناتة من بعد، وغالبا ما تستقلّ مدنها بعضها عن بعض، وكان أوّل الولاّة الحفصيين على الجزائر الحفصية أبو يحي زكريا، الذي أنزله أبوه أبو زكريا يحي الأوّل ببجاية سنة 633هـ/1236م، وكان آخر وال حفصي بالجزائر هو أحمد بن الحسن، ولي بونة أيّام أبيه إلى أن نبذ أهل تونس للحسن عهده، فبايعوه مكانه سنة 943هـ/1536م، ولم يعد للحفصيين بعده نفوذ إداريّ بالجزائر[18]، وضعفت زناتة آخر القرن الثّامن، وما لبثت أن ضعفت الدّولة الحفصيّة هي الأخرى، فلم يكن بين الحفصيين والزّيانيين ولاء ولا عداء إلى أن ملك الأتراك الجزائر.

العلاقات الزّيانية- المرينية: غلب عليها النّزاع المستحكم بين الطّرفين، ويعود السّبب الرّئيس في ذلك إلى أنّ كلاّ منهما كان يعدّ نفسه الوريث الشّرعي للموحّدين، فالمرينيون على أساس أنّهم استولوا على عاصمتهم مرّاكش والأندلس، أمّا الزّيانيون فلكونهم كانوا من أخلص مساعديهم وأنصارهم، ضف إلى ذلك عوامل أخرى أهمّها الجوار في الوطن والمنافسة في الاستقلال فسادت الحروب بينهما، وكان الفوز للمرينيين في معظم المواجهات، وكانوا عادة ما يتجنّون على زناتة بدعوى أنّهم آووا ثائرا عليهم، أو بأنّهم ردّوا شفاعتهم في من خرج عنهم من رعاياهم، أو لسبب تافه كترك السّبيل للممالك الحفصية على أراضيها، ولم يكن بإمكان زناتة إرضاءهم، وكانت أيّام السّلم بينهما هي أيّام انشغالهما بفتن داخلية.

وقد بدأ النّزاع بينهما عندما ضرب يوسف بن يعقوب المريني حصارا طويلا على تلمسان، في عهد أميرها أبي سعيد عثمان عام 698هـ/1299م، "وشرع سلطانهم أبو يعقوب يوسف بن عبد الحقّ في بناء منصورته"[19] وهي تلمسان الجديدة، وضيّق الخناق على أهلها، فلمّا كان عام 703هـ/1304م توفّي الملك أبو سعيد والحصار متّصل لنزلة أصابته بالحمام بعد ملك إحدى وعشرين سنة[20]، وبويع ابنه الأمير أبو زيّان محمّد لحكم الزّيانيين لكنّ الموت فاجأه بعد مرض اعتراه، فلم يدم حكمه طويلا فولّي بعده أخوه الملك أبو حمّو موسى الأوّل بن عثمان سنة 707هـ/1308م، وتمادى الحصار بتلمسان ثمانية سنين وثلاثة أشهر، " فلمّا كان يوم الأربعاء السابع من ذي القعدة عام 706هـ/1307م، دخل الخصيّ الذي اسمه سعادا على يوسف بن يعقوب وهو نائم، فألقى الله في قلبه طلب ثأر مولاه فوجأه بسكّين في بطنه "[21]، فانتقم بذلك لأبي عليّ المليانيّ الذي ربّاه وكان يوسف بن يعقوب قد قتله، وعندها حلّ الفرج بأهل تلمسان.

ولمّا قتل يوسف بن يعقوب ولّي مكانه ابنه أبو سالم وكان ابن أمة، فلم يرض أبو ثابت بن أبي عامر، فبعث إلى السّلطان أبي حمّو أن يعينه بما أمكنه من الجيش مصطلحين ما عاشا ففعل، وغلب أبو ثابت وقتل عمّه وانصرف موفيا بما التزم[22]، ثم توجّه إلى شرق تلمسان فأخضع القبائل الثّائرة في تجّين ومغراوة التي خلعت الدّعوة أيّام الحصار، ومدّ سيطرته إلى مدينة الجزائر سنة 711هـ/1312م، وإقليم الزّاب بالصّحراء الشّرقية.

وفي هذه الأثناء استغلّ أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحقّ المريني فرصة انشغال الزّيانيين شرقا، فقاد حملة ضدّ تلمسان لكنّه فشل في اقتحامها فاضطرّ إلى الانسحاب، فقام أبو حمّو عقب ذلك بتصفية نفوذ المرينيين في المغرب الأوسط بالقضاء على أشياعهم من الثّعالبة بمتّيجة، ومطاردة راشد بن محمّد المغراوي إلى بلاد القبائل، وتآمر على أبي حمّو ابنه أبو تاشفين بسبب " إيثاره لابن عمّه مسعود بن أبي عامر عليه، حيث كان أبو حمو يقدّمه على ولده في كلّ أمر سرّا وجهرا على رؤوس الملا "[23] وقتل أبو تاشفين وأتباعه أباه في جوان من سنة 718هـ/1318م. ثم بويع أبو تاشفين الأوّل للحكم فعقد معاهدة صلح مع السّلطان المريني أبي سعيد، وسرعان ما ساءت العلاقات بينهما بسبب غزو أبي تاشفين لمدينة قسنطينة، وسيطرته على بجاية عام 719هـ/1318م، ورفضه رجاء الحفصيين الذين وسّطوا بني مرين في ذلك، وفي إخلاء ما احتلّوه بالجزائر الشّرقية وخاصّة بجاية[24]، وغزا أبو تاشفين تازة وردّ عليه السّلطان المريني أبو

الحسن بغزو موانئ تلمسان السّاحلية بأسطوله، ثم عاد إلى المنصورة وحاصر تلمسان واحتلّها في أبريل 737هـ/1336م، وقتل أميرها أبا تاشفين وقضى على دولته وأخضع تلمسان للمرينيين[25].

وظلّ المرينيون يهيمنون على تلمسان إلى أن انهزم سلطانهم أبو الحسن قرب القيروان، على يد عرب بني سليم وأحلافهم وبني عبد الواد، الذين انحازوا إليهم في سابع محرم من عام 749هـ/1348م[26]، لتنتهي بذلك مرحلة الاحتلال الأوّل لتلمسان من لدن بني مرين، التي استمرّت من 737هـ/1336م إلى 749هـ/1348م. وبايع بنو عبد الواد أبا سعيد عثمان بن عبد الرّحمان بن يغمراسن سنة 749هـ، واستألفوا تجّين ومغراوة وتحالفوا على المناصرة عند الحاجة إليها متفرّقين في شلف، بينما واصل بنو عبد الواد سيرهم إلى تلمسان واقتحموها في سبتمبر سنة 749هـ/1348م، فلقي عمران بن موسى بن جرّار الذي خرج على رأس الجيش للقاء بني عبد الواد حتفه[27]. بينما سأل أخوه عامل المرينيين عثمان بن جرّار الأمان فأمّن[28]، وعيّن أبو سعيد عثمان أخاه أبا ثابت على رأس الجيش، فاستطاع هزيمة السّلطان المريني أبي الحسن في الجزائر، وهو عائد من تونس وأرغمه على الانسحاب[29] مهزوما مخذولا إلى المغرب الأقصى، حيث وجد ابنه أبو عنان قد استحوذ على السّلطة في غيابه، وانتهى الأمر بقتله وسيطرة ابنه أبي عنان على العرش.

ووجّه أبو عنان أنظاره إلى تلمسان، فلمّا سمع الأمير أبا سعيد باستعداده لغزوها خرج له بقواته إلى وجدة، والتقى الطرفان في معركة وادي القصب، " فلمّا حمي الوطيس خدعت بنو عامر، فكان ذلك سبب الهزيمة، وكبا بالسّلطان أبي سعيد فرسه فأخذ وقتل يوم السّبت حادي عشر جمادى الأولى سنة 753هـ/1352م[30]. واحتلّوا تلمسان وتتبّعوا أبا ثابت الذي لجأ مع ابن أخيه أبي حمّو إلى بجاية على إثر هزيمة السّلطان وأخيه أمامهم، فقبض عليهما أتباع المرينيين وهما متنكّران، فادّعى أبو حمّو أنّه هو السّلطان رغبة منه في الدّفاع عن عمّه، وسرعان ما اكتشف أمرهما، وسئل أبو ثابت عن هويّة صاحبه فادّعى أنّه أحد أتباع دولته، ورجاهم أن يسرّحوه فخلّوا سبيله، وفيما كان العمّ يساق إلى الموت[31]، سلك أبو حمّو طريقه إلى تونس مع جماعة من أصحابه طلبا للجوء عند السّلطان أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحي الحفصي ووزيره ابن تفراجين التينملي، فأقام لديهما بتونس معزّزا مكرّما لمدّة خمس سنوات[32]، وأوعز السّلطان أبو عنان المريني إلى صاحب إفريقية الحفصي بإخراج أبي حمّو وقومه من بلادهم فرفض صاحب إفريقية طلبه،

فأغرى ذلك أبا عنان بالحملة ضدّه[33]، وشرّق سنة 758هـ/1357م فملك قسنطينة وبلد العنّاب وحاصر أسطوله تونس وملكها، فارتحل السّلطان أبو إسحاق الحفصي إلى الجريد ورافقه أبو حمّو وأصحابه حتى نزلوا بتبسة، وحدثت أحداث اضطرّت أبا عنان للرّجوع إلى المغرب وإلى سحب جيشه وأسطوله من تونس دون أن تتمّ آية مواجهة بينه وبين خصومه[34].

ومن هناك أخذ أبو حمّو وقومه يعدّون العدّة للاتّجاه تلقاء تلمسان " وساعده على ذلك عرب من زغبة كانوا خارجين عن السّلطان أبي عنان، اضطرّوا إلى ترك أراضيهم في صحراء المغرب ولحقوا بإفريقية، فلمّا قفل أبو عنان راجعا إلى فاس رغبوا في العودة إلى بلادهم، فدعوا أبا حمّو إلى مرافقتهم على أن يحالفوه في اقتحام تلمسان وينصّبوه للأمر فوافقهم على عزمهم[35]، ووجد السّلطان الحفصي ووزيره ابن تفراجين في ذلك إزعاجا لعدوّهم المريني، فقاما بمساعدته وسار بمن معه في رحلة زادت عن ستة أشهر، وكان خبر وفاة السّلطان أبي عنان ممّا زاد في تثبيت عزائم رجال أبي حمّو، فحملوا على تلمسان ولم يتمكّن ابن أبي عنان من صدّهم فاقتحموها عنوة في اليوم الرّابع من منازلتها، وبايعه النّاس بالخلافة لليال خلون من ربيع الأوّل سنة 760هـ/1352م [36]، وانتهى بذلك عهد تلمسان بالاحتلال المريني الثّاني الذي دام من 753 إلى 760هـ/1352 إلى 1359م. وأمر السّلطان أبو حمّو موسى الثّاني بإخراج بني مرين، وصفح عنهم وكان فيهم ابن السّلطان أبي عنان[37]، ولمّا كان المرينيون أشدّ أعداء أبي حمّو فقد ناوأهم أحيانا وصالحهم في أخرى، وكان حكمه يمثّل انبعاث دولة بني عبد الواد من جديد، لذلك اعتبره المرينيون عدوّا يجب التخلّص منه، فبعد استقراره بتلمسان أكثر من شهر ونصف أرسل المرينيون جيشا عرمرما في آخر شهر ربيع الثّاني من سنة 760هـ اضطرّه إلى الخروج من عاصمته إلى الصّحراء[38]، ومن يومها خاض أبو حمّو معارك جمّة ضدّ المرينيين، حالفه النّصر في بعضها وخانه في غيرها، وأرغم أربع مرّات على ترك قاعدة ملكه تلمسان في قبضة المرينيين لفترات متفاوتة الزّمن:

كانت أولاها سنة 760هـ/1359م، حيث غادر فيها تلمسان مدّة ثمانية وعشرين يوما[39]، بينما كانت الثّانية في السّنة الموالية، وفيها ترك تلمسان ليعود إليها بعد أربعين يوما[40]، وكانت كلاهما أمام قوات السلطان المريني أبو سالم، في حين امتدّت الثّالثة من احتلال حضرته – وكانت هذه المرّة من لدن السّلطان أبي فارس عبد العزيز المريني- في الخامس والعشرين محرّم من سنة

772هـ/1371م إلى وفاة الملك المريني أبي فارس في الثاني والعشرين ربيع الثّاني سنة 774هـ/1373م، وقد دامت مدّة الاحتلال هذه أكثر من سنتين، وكانت الأسوأ مقارنة بسابقاتها على أبي حمّو[41]، وأمّا آخرها فكانت في صفر من عام 784هـ/1383م حتّى عام 786هـ/1385م، حيث خرّب المرينيون عمران المدينة وهدّموا خلالها القصور الجميلة التي بناها الزيانيون مستعينين بخبرة الأندلسيين[42].

وفي كلّ مرّة من هذه المرّات كان أبو حمّو يتحمّل الصّعاب في المنفى بشجاعة ورباطة جأش، يتحيّن الفرص السّانحة للعودة إلى حمل السّلاح محاولا إعادة سلطانه، وهو ما نلاحظه بخاصّة في خرجة سنة 772—774هـ، التي قاسى فيها من التشرّد ومن شدّة هول البرد والعري والجوع والعطش والهزيمة والإشراف على الهلاك، وقد سمّى أبو زكريا بن خلدون هذه الخرجة ب " التّمصيص الأكبر والابتلاء الأشهر بما لم يعرف لملك من ملوك الإسلام نظيره، ولا عدّ في مثلات العجم الخالية شبهه"[43]. إلاّ أنّ عزم أبي حمّو كان يقابله إصرار المرينيين للقضاء عليه، وكانت الفرصة الكبرى أمامهم عندما لجأ إليهم ابن السّلطان أبي حمّو أبو تاشفين عبد الرّحمان الثّاني، الذي طلب منهم إعانته للتخلّص من أبيه ليستقلّ بالسّلطة بمفرده، بعد أن أخفق في ذلك بين سنتي 788هـ/1388م و790هـ/1389م، فأعانوه بجيش كبير، ودخل تلمسان برجال بني مرين سنة 791هـ/1390م، فكانت نهاية أبي حمّو في معركة بني ورنيد قرب جبل بني راشد في نوفمبر من نفس السنة قتلا على يد حليف ابنه المريني[44].

وممّا تقدّم يتضح لنا أنّ نجاح المرينيين في إخضاع أبي حمّو نهائيّا كلّفهم ثلاثين سنة من العناء والمحاولات المتكرّرة على تلمسان لضمّها إلى مملكتهم، فأصبح يخطب على منابرها للسلطان المريني، ويبعث إليه بالجباية كلّ سنة وصار أبو تاشفين مجرّد عامل لبني مرين ليس إلاّ[45]. ورغم ذلك لم يسلم من منازعة أخيه أبي زيّان حاكم الجزائر فاشتعلت الحرب بينهما طويلا للاستقلال بعرش تلمسان، وانتهت بهلاك أبي تاشفين. وأدّى الصّراع بينهما إلى تدخل المرينيين مجدّدا بواسطة السلطان المنتصر فاحتلّ تلمسان والمناطق الشّرقية لها عام 795هـ/1393م، فأزال بذلك الدّولة الزّيانية للمرّة الثّالثة.

وللإشارة فإنّه كان للمرينيين اليد الطولى في دفع أبي زيّان بن أبي سعيد للثورة ضدّ أبي حمّو الخصم اللّدود لهم، وبعد حوالي عشرين سنة (من سنة 761هـ/1360م إلى سنة 781 هـ/1380م) انتهى أمر الصّراع بينهما، عندما أصبح أبو زيّان عاجزا على تحريك دواليب هذه الحرب، واستحال عليه تحقيق النصر على أبي حمّو موسى الثّاني[46].

واللاّفت للنظر أنّ أبا حمّو هو الآخر لجأ إلى التآمر ضدّ عدوّه المريني – عملا بالمثل – ونكاية بعدوّه وذلك عندما احتضن منافسين لسلطانين من السلاطين المرينيين في فترتين متباعدتين أثناء حكمه، الأوّل هو الأمير عبد الحليم بن أبي علي المريني، وقد احتضنه أبو حمّو سنة 762هـ/1361م مكايدة للسّلطان أبي سالم المريني، فأمر بني مرين الواصلين من الجزائر إلى تلمسان ببيعته، ولمّا دعا له بالمغرب كساه شارة الملك وسرّحه في شيء من الآلة والنّاس مكرّما[47]. أمّا الثّاني فكان محمّد بن محمّد بن عبد الله بن عبد الحقّ، وقد جمع العرب من أصحابه على بيعته سنة 770هـ/1369م، وكساه شارة الملك وأرسله مع العرب لحصار سجلماسة مكايدة للسّلطان عبد العزيز المريني[48]. واستطاع أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمّو (814 هـ/1411م) التّغلّب على بني مرين، وفرض عليهم أحد المطالبين بالعرش وهو محمّد بن أبي طريق بن أبي عنان[49].

العلاقات الزّيانية– السّعدية: في سنة 957هـ/1550م جهّز الشّريف محمّد المهدي مؤسّس الدّولة السّعدية جيشا قويّا بقيادة ابنه الشّريف محمّد الحرّان ليتولّى فتح تلمسان، فحاصرها تسعة أشهر وقتل في حصارها ولده الحرّان، ثم استولى على المدينة سنة 957هـ/1550م[50]، ومدّ نفوذه إلى نهر الشلف، فخرج إليه الجزائريون تحت قيادة حسان قورصو، فانهزم جيش السّعديين وتراجع إلى مستغانم، وجاءهم المدد لكنّهم انهزموا عند الحدود المغربية، وقتل الشّريف عبد القادر قائد الجيش المغربي ابن الشّريف محمّد المهدي، فتراجع جيشهم إلى ما وراء الملوية.

العلاقات مع الأندلس: كانت العلاقات الزّيانية بالأندلس وأهلها جيّدة عموما، وبرزت في شكل مساعدات من نقود ذهبية وخيول وحبوب وسلاح ومراكب مشحونة للاستعانة على حرب النصارى، كما حدث في زمن أبي حمو الثاني خلال سنة 763هـ/1361م وسنة 767هـ/1365م، حيث افتدى أسرى المسلمين لدى النصارى جميعا[51]، وكان تبادل الهدايا ممّا اعتاد عليه سلاطين بني عبد الواد وبني الأحمر فيما بينهما، ومن ذلك مثلا أنّ السلطان أبا عبد الله محمد الغني بالله أرسل رسوله في أول رجب من سنة 774هـ/1373م بهدية أتحف بها السلطان أبو حمو موسى الثاني،"وهنّأه فأكرم السلطان نزله، وأرجعه بما يناسب تودّد صاحبه من الشكر والثناء العاطرين"[52]. كما استقبلت تلمسان مهاجري الأندلس من المسلمين الفارّين من خطر الموت أو التنصير، ومن هؤلاء آخر أمراء بني الأحمر بغرناطة أبو عبد الله محمّد بن سعد المعروف

بالزّغل الذي وصل إليها عبر وهران، فاستقبله أبو عبد الله الثّالث المعروف بالثّابتي بما يليق بمقامه من الحفاوة والإكرام "[53].

وبالمقابل لا يمكن أن ننسى الدّور الذي قام به الأندلسيون في تقديم المعونة للزّيانيين في بناء وتشييد قصورهم الجميلة بتلمسان، ويذكر أنّ قصور تلمسان كانت من حسنات ما جادت به خبرة الصنّاع الأندلسيين، ومنها دار الملك و دار السّرور و أبو فهر، ويخبرنا ابن خلدون عن العهد الذي تمّت فيه هذه الصفقة فيقول: " كانت لا يعبر عن حسنها، اختطها السلطان أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين، واستدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث إليهما السلطان أبو الوليد بن الأحمر صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله"[54].

العلاقات الزّيانية – الأوربية: تأرجحت بين السّلم والحرب:

في حالة السّلم: كان التجّار يتوافدون على تلمسان من القطرين الشّقيقين ومن الأندلس وبلاد السّود ومن جنوة والبندقية، فيتردّدون إلى المدينة من خلال موانئ وهران والمرسى الكبير، وبعد احتلالهما من قبل الإسبان لم يبق للمملكة غير ميناءين هما : أرشقون وهنين لعرض بضائعهم المتمثّلة أساسا في الثّياب القطنية والحريرية والخردوات والنّحاس والزّجاج والعطور وغيرها، وكانت تأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان، ولم ينقطع التجّار عن تلمسان حتّى في الأوقات العصيبة للحصول على منتوجات بلاد السّودان من عاج وذهب وعبيد، كانت تأتي بها قوافل تجار تلمسان، وكان أهمّ أسفارهم ذلك الذي يقومون به إلى هذه البلاد، وتوجد بتلمسان جميع الصنائع والتجارات موزعة على مختلف الساحات والأزقة، كما كان بها فندقان لمقام تجار جنوة والبندقية، وكانت تصدّر الصّوف والمنسوجات والماشية والحبوب والكتب، وهي إلى ذلك ممرّ للبضائع الإفريقية والأوروبيّة يتاجر فيها بحيّ قيصارية القديم وقد نوّه ليون الإفريقي في أوّل القرن السادس عشر بما اشتهر به تجّار تلمسان من ثقة[55].

في حالة الحرب: تلمسان والصّراع الإسباني العثماني: استغلّ الإسبان تنافس الأسرة المالكة في تلمسان على العرش، فاحتلّوا المرسى الكبير سنة 1505 ووهران 1509 ثم بجاية سنة 1510 وجزيرة الصّخرة بالعاصمة ومستغانم سنة1511 ودلّس وعنّابة وهنين عام1531م. وتقرّب أبو حمّو الثّالث من الإسبان، فاجتمع بالإمبراطور الإسباني شارلكان معلنا تبعيته له، فرجّ بالملك الشّرعي

أبي زيّان في السّجن، واستنجد أهل تلمسان بعرّوج فاندفع نحو تلمسان لنجدة الملك السّجين وشيعته للتخلص من الإسبان، وحاول أبو حمّو صدّه عن المدينة ففشل في ذلك، وهزم جيشه شرّ هزيمة واقتحم عروج المدينة التي استقبلته كمنقذ[56]،أمّا أبو حمّو فقد فرّ إلى فاس ومنها إلى وهران طالبا المساعدة من حاكمها العام لاسترجاع ملكه.

وأجلس عرّوج السّلطان أبا زيّان الثّالث المسعود على عرش تلمسان، وبعد فترة وجيزة من الاستقرار عادت تلمسان لتسقط في الفتنة، التي كان وراءها السلطان أبو زيّان وأشياع عمّه أبي حمّو معا، وغادر عرّوج تلمسان لحين ثم عاد إليها ليقتل أبي زيّان مع رؤوس الفتنة، وعندها أمر شرلكان حاكم وهران بمساعدة أبي حمّو لاسترجاع عرش تلمسان، الأمر الذي أدخل تلمسان في دوّامة من التقلبات السياسية جعل سلاطينها يتأرجحون بين ولاء للأتراك العثمانيين وخيانة للدّين والوطن بالخضوع للإسبان مقابل الحفاظ على الملك أو طلب المساعدة لاسترجاعه في أحداث يطول شرحها، واستغلّ الإسبان احتضار الدّولة الزّيانية من خلال تلك الأحداث المؤلمة داخل الأسرة الحاكمة، فأرغموا ضعفاء سلاطينها على الخضوع لاتّفاقيات كلّها لصالحهم، وقد تعاقب على ملك تلمسان في هذه الفترة الممتدّة من 924هـ/1518 إلى 962هـ/ 1554م:

أبو حمّو الثّالث الذي عاد رفقة الجيش الإسباني واحتلّ تلمسان سنة 924هـ/1518م ومات في نفس السّنة، وأبو محمّد عبد الله الثّاني الذي أعقبه على عرش تلمسان في السنة نفسها، فثار عليه أخوه أبو سرحان المسعود، الذي احتلّ تلمسان بمساعدة الجزائريين سنة 925هـ/1519م وطرده من العرش، وبايع السّلطان سليم العثماني ثمّ نقض البيعة والارتباط بالجزائر. ودخلت تلمسان بعدها في سلسلة من التقلبات في عرشها ما بين التبعية للاحتلال الإسباني والتبعية للآتراك العثمانيين وكان حكم تلمسان بين مدّ وجزر في هرم سلطتها حيث حكمها في ظرف وجيز محمد السابع وأبو زيان أحمد الثاني وأخرهم الحسن بن عبد الله الثاني الذي نصّبه حسان قورصو بعد تخلّصه من السّعديين الذين طاردوهم إلى ما وراء الملوية، وبقي تحت إشراف الضّابط التركي سفطة، فكان عبارة عن جسد بلا روح، إلى أن قرّر مجلس العلماء سنة 962هـ/1554م خلعه وأعلن البايلرباي صالح رايس حينئذ نهاية دولة بني زيّان، وانضمامها إلى الأبد للدّولة الجزائريّة بعد أن عمّرت ثلاثة قرون وثمانية عشر عاما[57].

العلاقات بين أبي زيّان والظّاهر برقوق: ذكر التنسي أنه "لمّا وردت على أبي زيّان بن محمد بن أبي حمّو هديّة ملك مصر سيف الدين أبي سعيد الملقّب ببرقوق أول المماليك البرجيين، بعث إليه عملا بالمثل هديّة جليلة ووجّه معها قصيدة لامية من نظمه تحتوي على سبعة وخمسين بيتا مطلعها:

لمن الركائب سيرهن ذميل فالصبـــر إلاّ بعدهـــنّ جميل

يا أيّها الحادي رويدك إنّها ظعن يميل القلب حيث تميل"[58]

وهذا ما يؤكّد أنّهما كانا على علاقات ودّية، وذكر ابن خلدون أنّ هديّة صاحب تلمسان تشتمل على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموّهة وأحمال من الأقمشة[59].

الخاتمة: أنّ العلاقات الزيانية الحفصية تميّزت مبدئيّا بالتبعيّة لهم وتدعّمت بالمصاهرة، إلاّ أنّ التقارب الحفصي المريني للإطاحة بعرش تلمسان، قطّع أوصال هذه العلاقات، وتمكّن الحفصيون من غزو تلمسان واحتلالها إلى حين تمّ رجعوا عنها بعد أن نصّبوا عليها ابن أبي عمران وهو أحد المطالبين بالعرش، وسيتحوّل التقارب الحفصي المريني – لاحقا – إلى عداء بسبب الأطماع التوسّعية المرينية، ولإحداث التوازن في المنطقة كان على الحفصيين مساعدة الزّيانيين في إعادة بناء دولتهم، لمواجهة العدوّ المشترك وتأمين حدود دولتهم، إلاّ أنّ الحفصيين سيستغلون تطوّر الأحداث ويستثمرونها لصالحهم بعد ضعف إمارة المرينيين وانشقاق البيت الزّياني على نفسه فيقومون باحتلال تلمسان وإخضاعها لسلطانهم، وللإشارة فإنّ الجزائر الحفصيّة انتقلت من التبعيّة الحقيقيّة لتونس الحفصيّة إلى الاستقلال عنها تدريجيّا ثمّ نهائيّا سنة 943هـــ/1536م.

أمّا العلاقات مع المرينيين فإنّ أيّام السّلم فيها بين الطرفين هي أيّام انشغالهما بفتن داخلية، وبعبارة أخرى فإنّ النّزاع المستحكم ساد بينهما، وكان غالبا ما يكون لصالح المرينيين، الذين احتلّوا تلمسان في العديد من المرّات: كان أطولها الاحتلال الأوّل في عهد أبي الحسن المريني، الذي دام قرابة اثنتا عشرة سنة (من 737هـــ/1336م إلى 749هـــ/1348م). بينما كان أقصرها مدّة، ذلك الذي وقع سنة 761هـــ/1360م، على عهد أبي سالم المريني، الذي أرغم أبا حمّو على الغياب عن تلمسان لمدّة أربعين يوما. في حين تمكّن الزّيانيون فيما بعد من تحقيق النّصر على المرينيين في عقر دارهم بواسطة السّلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمّو سنة 814هـــ/1411م، وفرض عليهم أحد المطالبين بالعرش وهو محمّد بن أبي طريق بن أبي عنان.

أمّا السعديون فمنذ تأسيس دولتهم أظهروا أطماعا توسّعيّة على حساب تلمسان، التي احتلّوها بعد حصار دام تسعة أشهر سنة 957هـ/1550م، وبسطوا نفوذهم إلى واد الشلف، فردّهم حسان قورصو بهجوم معاكس إلى ما وراء الملوية خائبين منهزمين.

وكانت العلاقات مع الأندلس ودّية أخوية مبنيّة، على التعاون المشترك للدّولتين، ولّما أنشأ الإسبان محاكم التفتيش التي كانت تفرض التنصير على مسلمي الأندلس أو الموت، استقبلت تلمسان أفواجا من الأندلسيين الذين فرّوا بدينهم ويمّموا شطرها.

بينما تأرجحت العلاقات مع الأوربيين بين السلم والحرب، ففي السلم كان النّشاط التجاري طابع هذه العلاقات باعتبار أنّ تلمسان كانت همزة وصل بين البضائع الإفريقية والأوربية. وفي الحرب تميّزت بغارات الإسبان على سواحل المغرب الإسلامي الإستراتيجية ، فاحتلّوا عددا منها، أمّا تلمسان فقد خضعت لهم بسبب ضعفاء الشّخصية من سلاطينها الذين كان همّهم الوحيد الظفر بالحكم بغض النظر مع من يتحالفون للوصول إلى سدّته، حتّى ولو كانوا إسبانا مسيحيين. إلاّ أنّ التلمسانيين استقبحوا مثل هذه التصرّفات واستنجدوا بالأخوين المسلمين عروج وخير الدين، فاشتدّ الصّراع بين القوّتين الإسبانية والعثمانية على تلمسان الزيانية إلى أن دخلت في كنف الدّولة الجزائرية بعد أن ضمّها صالح رايس سنة 962هـ/1554م، بخلع آخر سلاطينها وهو الحسن بن عبد الله الثّاني.

ويذكر أنّ أبا زيّان والظّاهر برقوق أوّل المماليك البرجيين على مصر كانا على علاقة ودّية، ويؤكّد ذلك الهدايا التي بعث بها كلّ منهما للآخر.

الهوامش:

1- ابن خلدون عبدالرحمن- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر -مؤسسة منشورات الأعلمي للمطبوعات- بيروت- 1391هـ/1971م- ج6 ص286 وج7 ص80. وانفرد علي ابن أبي زرع الفاسي بخبر جاء فيه:" أنّ الرشيد بعث إلى يغمراسن بهدية عظيمة مؤملا منه ما كان ممن قبله من الخطبة لهم، فلم يجبه إلى ذلك وأظهر كلّ واحد عداوة الآخر، فهمّ الرشيد بالتحرّك نحوه فعاجلته منيته". ينظر: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- اعتنى بطبعه وتصحيحه: يوحن تورنبرغ- دار الطباعة المدرسية- أوبسالة- 1833- ص456.

2- ابن خلدون يحي- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات- المكتبة الوطنية- الجزائر- 1400هـ/1980م- ج1 ص205. علي ابن أبي زرع الفاسي- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية- الرباط- 1392هـ/1792م- ص61. ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر السابق- ج6 ص256-257. وجاء في تاريخ

الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي- تحقيق وتعليق: محمد ماضور- المكتبة العتيقة- تونس- 2002- ط2- ص29. وفي المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار- مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية- 1286هـ- ط1- ص126:" أنّ تحرّك أبا زكريا لتلمسان كان سنة 639هـ/1241-1242م". في حين يذكر ابن القنفد القسنطيني:" أنّ التحرّك لتلمسان كان سنة 639هـ، أمّا دخولها فكان سنة 640هـ". ينظر: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية- تقديم وتحقيق: محمد الشاذل النيفر وعبد المجيد التركي- الدار التونسية للنشر- 1968- ص109.

3- ابن الأزرق أبو عبد الله- بدائع السلك في طبائع الملك- تحقيق: علي سامي النشار- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة- الإسكندرية- 1429هـ/2008م- ط1- ج2 ص672.

4- ابن خلدون يحي، المصدر نفسه- ج1 ص206. ويسمّيها ابن أبي زرع في ذخيرته: تامزجدرت- ص72. وهي عند محمد بن عبد الله التنسي: تامزيزديت. ينظر: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان- تحقيق وتعليق: محمد بوعياد- المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية- الجزائر-1405هـ/1985م- ص118.

5- التنسي- المصدر نفسه- ص119. ابن أبي زرع- المصدر السابق- ص72. ويسمّيه في روض القرطاس:" يوسف بن خورور" ينظر:ص456-457. الزركشي- المصدر نفسه- ص31.

6- ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص98. ويسمّي مبارك بن محمد الميلي هذه المعركة " معركة جبل الزان" ينظر: تاريخ الجزائر في القديم والحديث- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ج2 ص407.

7- ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج6 ص439-440.

8- نفسه- ج6 ص340-341. التنسي- المصدر نفسه- ص144.

9- ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص123-124 و132-133 و141-142. الناصري أحمد بن خليل- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا- تحقيق ولدي المؤلّف: جعفر الناصري ومحمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1955- ج4 ص57- 67- 68- 76- 77.

10- التنسي- المصدر نفسه- ص157. وذكر أبو حمو أنّ بداية استرجاع ملكه كانت من تونس إلاّ أنه لم يذكر شيئا عن الإعانة بآلة السلطان من قبل صاحب تونس حينئذ. ينظر: أبو حمو موسى بن يوسف الزياني- كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك- تقديم المعهد الهندي-أوكسفورد- 1880-ص13.

11- ابن خلدون يحي - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- المطبعة الشرقية للأخوين فونطانة وشركائهما- الجزائر- 1911- ج2 ص37. ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص123. أبو حمو موسى- المصدر نفسه- ص14. التنسي- المصدر نفسه- ص159.

12- ابن خلدون يحي - نفسه- ج2 ص151. ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص128.

13- ابن خلدون يحي - ج2 ص182. ابن خلدون عبد الرحمن - ج7 ص128-129.

14- ينظر مثلا " تدلس" في البغية- ج2 ص103 أخذها الزيانيون وفي ص151 انتزعها منهم الحفصيون. ينظر أيضا في العبر- ج7 ص171.

15- ينظر تفاصيل هذه الوقعة في البغية- ج2 ص182-183. العبر- ج7 ص128-129.

16- التنسي- المصدر نفسه- ص241-243. الزركشي- المصدر نفسه- ص125-126.

17- الزركشي- نفسه- ص127-128.

18- مبارك بن محمد الميلي- المرجع نفسه- ج2 ص390 و398.

19- ابن خلدون يحي- المصدر نفسه- ج1 ص209-210. ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص96.

20- التنسي- المصدر نفسه- ص131. ابن خلدون عبد الرحمن - نفس الجزء والصفحة.

21- التنسي- نفسه- ص134. ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص233.

22- التنسي- نفسه- ص135. ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص233-234.

23- التنسي- نفسه- ص138. ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص104.

23- التنسي- نفسه- ص145. ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص107-109.

25- التنسي- نفسه- ص145-146. ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- 147-148.

26- ابن خلدون يحي - المصدر نفسه- ج1 ص235. الزركشي- المصدر نفسه- ص85.

27- ابن خلدون يحي - نفسه- ج1 ص245-246. التنسي- المصدر نفسه- ص151. ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص116.

28- التنسي- نفس الصفحة. ابن خلدون عبد الرحمن - نفس الجزء والصفحة.

29- التنسي- نفسه- ص152-153. ابن حلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص118-119.

30- التنسي- نفسه- ص154. ابن خلدون يحي - نفسه- ج1 ص245-246.

31- ابن خلدون يحي - نفسه- ج2 ص17-18. ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص121-122. الزركشي- المصدر نفسه- ص94.

32- ابن خلدون يحي - نفسه- ج2 ص18-20. مبارك الميلي- المرجع نفسه- ج2 ص459.

33- ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص122-124.

34- أبو حمو موسى- المصدر نفسه- ص13. الزركشي- المصدر نفسه-96-98.

35- ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص122. الناصري -المصدر نفسه- ج3 ص201-202.

36- أبو حمو موسى- المصدر نفسه- ص14. ابن خلدون يحي - المصدر نفسه- ج2 ص39.

37- ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص122-123.

38- إسماعيل بن الأحمر- روضة النسرين في دولة بني مرين- المطبعة الملكية- الرباط- 1962- ص55. ابن خلدون يحي - المصدر نفسه- ج2 ص51. الناصري- المصدر نفسه- ج4 ص5.

39- ابن خلدون يحي - نفسه- ج2 ص52.

40- ينظر تفاصيل ذلك في البغية- ج2 ص76-79. إسماعيل بن الأحمر- المصدر نفسه- ص56. ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر نفسه- ج7 ص124-125 و 311-312. الناصري- المصدر نفسه- ج4 ص33-34.

41- ابن خلدون يحي - نفسه- ج2 ص238و269. ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص132-135- 329-330-336-337. الناصري- نفسه- ج4 ص57.

42- ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص141-143.

43- نفسه- ج7 ص330-334. ابن خلدون يحي - المصدر نفسه- ج2 ص237.

44- ابن خلدون عبد الرحمن - نفسه- ج7 ص143-148. الناصري- المصدر نفسه- ج4 ص76.

45- ابن خلدون عبد الرحمن – نفسه- ج7 ص147--148. الناصري- نفسه- ج4 ص76-77.

46- ابن خلدون عبد الرحمن – نفسه- ج7 ص124-125و139.

47- نفسه- ج7 ص316. ابن خلدون يحي – المصدر نفسه- ج2 ص90-91 وخاصة ص95. الناصري- المصدر نفسه- ج4 ص43و74.

48- ابن خلدون عبد الرحمن- نفسه- ج7 ص129. ابن خلدون يحي- نفسه- ج2 ص235--236.

49- التنسي- المصدر نفسه- ص240-241.

50- الناصري- المصدر نفسه- ج5 ص25.

51- ينظر تفاصيل ذلك في البغية- ج2 ص114وص193.

52- نفسه- ج2 ص276.

53- المقري التلمساني- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق إحسان عبّاس- دار صادر- بيروت- 1388هـ/ 1968- ج4 ص524.

54- ابن خلدون عبد الرحمن – المصدر نفسه- ج7 ص142. ليون الإفريقي- وصف إفريقيا- ترجمه عن الفرنسية: محمد حجّي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1983- ط2- ج2 القسم الرّابع- ص20.

55- ليون الإفريقي- نفسه- ج2 ص19-20-21. شارل أندري جوليان- تاريخ إفريقيا الشمالية- تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة- الدار التونسية للنشر--1983- ط2- ج2 ص202.

56- كان الشيخ أبو العبّاس أحمد بن القاضي الزواوي هو من كاتب عروج وخير الدين لنجدة أهل تلمسان. ينظر: الاستقصا- ج4 ص162.

57- أحمد توفيق المدني- نفسه- ص310وص329.

58- التنسي- المصدر نفسه- ص220إلى 227.

59 – ابن خلدون عبد الرحمن – التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا- تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي- لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- 1951- ص345.